﴿إجابة عن تساؤلات أحد الإخوة عن الرزق والقدر﴾

لفضيلة الشيخ الدكتور/
مطلق الجاسر
حفظه الله

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد؛ حياك الله أخي الكريم في هذه الساعة المباركة، وصلتني رسالتك، والأسئلة المتضَمنة فيها، وسأجيبك إن شاء الله عن هذه الأسئلة سؤالاً سؤالاً.

سؤال: تفضلَّت وسألت بأن الأقدار قد كتبها الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- والأرزاق قد قدرَّها الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ثم قلت: "لماذا نعمل، ولماذا ندعو"؟ يعني ما دام الله كاتب لي الرزق وهذا رزقي قليل فلم أنا أعمل؟ وكذلك أنت تفضلت وقلت أنك لن تستطيع أن تدعو الله -عزَّ وجلَّ- أن يرزقني الله؛ لأن الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- قد رزق وحدَّد الرزق مسبقًا.

الجواب: أخي الكريم عن هذا السؤال، أن الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- صحيح أنه قدَّر الأرزاق، ولكن أمرنا ببذل السبب لأخذ هذا الرزق، وأمرنا بالعمل، وجعل الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- هذا القدَر مرتبط بالعمل، ومرتبط بالدعاء، يعني الدعاء ممكن يغيِّر القدر، هذه معلومة مهمة جدًا، كيف هذا؟

اسمع معي هذا الحديث: «عن ثوبان -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا يزيد في العمر إلا البر، ولا يرُدْ القدر إلا الدعاء، وإن الرجل ليُحرم الرزق بالخطيئة يعملها»، هذا الحديث رواه ابن ماجه، وحسَّنه الحافظ العراقي -رحمه الله تعالى.

وكذلك يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لا يُغني حذرٌ من قدر، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، وإن الدعاء ليلقى البلاء فيعتلجان (يعني: يتصارعان) إلى يوم القيامة»، وهذا رواه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد، وحسَّنه الألباني وغيره.

كذلك الإمام ابن القيم -رحمه الله- وضَّح هذه المسألة وقال: "أن حال الدعاء مع البلاء له ثلاث مقامات:

المقام الأول: أن يكون أقوى من البلاء فيدفعه، يعني الدعاء بإخلاص مثلًا وكذا، فيدفع البلاء.

المقام الثاني: أن يكون أضعف من البلاء فيقوى عليه البلاء.

المقام الثالث: أن يتقاوما ويمنع كل واحدٍ منهما صاحبه"، وهذا كلامه في كتابه "الجواب الكافي".

إذن نقطة مهمة جدًا يجب أن تُعرف: الأمور المقدَّرة قسمان:

- **القسم الأول**: ما قُدِّر وقوعه بدون سببٍ معين، فهذا يقع بتقدير الله -عزَّ وجلَّ، يعني بدون أي سبب دنيوي، مثل المطر، مثل الحر، البرد، إلخ.
- **القسم الثاني**: ما قُدِّر وقوعه ويكون متعلقًا بسببٍ معين، بحيث لا يقع هذا الأمر حتى يقع سببه.

فمثلاً: نحن قُدِّر لنا أن يكون عندنا عيال، لكن هل ممكن أن يأتيك عيال بدون زواج؟ لا، فالله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- قدَّر العيال، ثم ربط هذا التقدير بسبب إذا فعلته ستحصل على العيال، لم تفعله لن تحصل على العيال وهو الزواج.

كذلك الشِبع، كذلك الرزق، فإذا قلت إن الشبع مقدَّر لمَ آكل، لمَ أشرب، هذا بالنسبة للسؤال الأول.

السؤال الثاني: قلت: أن هناك أُناس تعمل ذنوبًا، فيقولون مثلاً: أنا لمَ لا نُرزق، فيقال لك: بسبب ذنوبك، أو بسبب ذنوب الخلوات، بينما أنت تقول إنك ترى أشخاصًا يعملون ذنوبًا والله رازقهم، فأنت تقول كيف هذا؟

الجواب: أولاً الرزق بمعنى: المال والفلوس، ليست دليلاً على رضا الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- وليست دليلاً على محبة الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ما الدليل على كلامي هذا؟

الدليل قول الله –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾[الإسراء: ٢٠].

فالله –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– يعطي الكفار ويعطي المسلمين، فإعطاؤه للكفار ليس دليلاً على محبة الله –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– لهم فلا تربط ممكن هذا الذي يعمل الذنوب والله يرزقه، ممكن هذا الله –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– أراد أن يستدرجه مثلاً، بينما الذي حُرم ممكن هذا يكون في مصلحته حتى يعود إلى الله –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– وحتى يتوب إلى الله، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ثم سألت تقول: أنك سمعت أحد المشايخ يقول إن من يكسب المال الحرام لو اشتغل بالحلال لكان كسب نفس المال الذي أخذه بالحرام.

الجواب: أن هذا كلام لا أعرف له دليلاً، حسب علمي غير صحيح، كسب الحرام حرام سيُحاسب عليه الإنسان، وليس شرطًا أنه إذا تحوَّل إلى الحلال ممكن أن يكسب نفس العمل، ليس بالضرورة، ولا أعرف دليلاً على ذلك.

ثم سألت حفظك الله قلت: إنك سمعت لأثر عن عمر –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: "أنه لو كشف الله القدر لما اخترت إلا ما اختاره الله لك" واستنكرت، قلت: كيف ذلك؟

الجواب: جوابي على هذا أن هذا لم يصح عن عمر –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولا عن أحد من الصحابة ولا عن النبي –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وأصلاً هذه العبارة ليست دقيقة، يعني الإنسان الذي قُدر له الوقوع في المعصية هذا لو كُشف له القدر لما وقع في المعصية، فهذه العبارة ليست صحيحة.

سؤال: ثم تفضلت وقلت: لماذا الله –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– يختبر الناس اختبارًا سهلاً واختبارًا صعبًا، اختبار الأغنياء واختبار الفقراء، وأن الفقير يُطالب بالصبر و و.... إلخ، والغني يُطالب بالشكر وراح يكون أمره سهل، وآخر شيء سيدخلون نفس الجنة.

الجواب: هذا الكلام، أخي الكريم، يحتاج إلى توضيح بعض الأمور:

أولاً: بالنسبة لاختبار الشكر والصبر لا يقلّون عن بعض، يعني قد يكون شكر النعمة أصعب من الصبر على المصيبة؛ لأن النعمة تُطغي الإنسان، وربما يفشل في الاختبار، لكن هذا الفقير ما أمامه إلا الصبر، وبالتالي سيكون أسهل بالنسبة له.

ثانيًا: أنت قلت أن الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- في النهاية سوف يدخلهم جنةً واحدة.

الجواب: أنا أقول لك لا، الله سيفضل الفقراء على الأغنياء، جاء في الصحيحين وغير الصحيحين أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «قُمتُ على باب الجنة، فإذا عامة من دخلها المساكين، وإذا أصحاب الجد (يعني الأغنياء) محبوسون، إلا أن أصحاب النار قد أُمر بهم إلى النار»، يعني أن الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء.

هناك أيضًا حديث آخر رواه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهما- قال: «سمعت رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفًا»، والترمذي عن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: «يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام».

فهذا، أخي الكريم، دليل على أن الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- سيعوِّض هؤلاء الفقراء والمساكين بهذا الأمر.

أرجو أن أكون أجبتك، وأسأل الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لنا ولك التوفيق والسداد.